

الرَّسَالَة ٣٢

هل يُمكنُ أنْ يَنتابَ المَسيحِيُّ شُكوكًا؟

(Arabic - Can a Christian have doubts?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي
سؤال هذه الحلقة : هل يُمكنُ أنْ يَنتابَ المَسيحِيُّ شُكوكًا؟
يحبينا على هذا السؤال: Cliffe knechtle
في كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.
وقد حصلنا على تصريح كتابي من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية.

هل يمكن أن يَنتابَ المَسيحِيُّ شُكوكًا؟. نجيبُ بنعم. ونحن نعلمُ منْ كلمةِ الله أنْ توما الرسول تعرَّضَ مرَّةً لِمثَلِ هذه الحالة.. فمع أنَّه تبعَ السيِّدَ المَسيحَ أكثرَ منْ ثلاثِ سنينِ لكنَّه لمْ يُصدقْ أنْ يسوعَ قامَ منْ الأمواتِ حتى تحسَّسَ بأصابِيعِ أثرِ المَساميرِ في يديِّ الربِّ.. لقد كان توما شكاكًا ولكنَّه كان صادقًا أمينًا عندما واجه الدليلَ الحَيَّ القاطعَ.. ويسجلُ الوحي بانجيل يوحنا الأصحاح العشرين أنه سجدَ ليسوعَ هاتفاً منْ أعماقِهِ: "رَبِّي وإلهي".^١

إنَّ اللهَ لا يتخذُ موقفاً مُضاداً لإنسانِ اعتراه شكٌّ.. ولكن الله يتخذُ الموقفَ المُضادَ لعدمِ الأمانةِ والالتواءِ إذا صدرا منْ إنسانٍ عندَ طرحِهِ لتساؤلاتِهِ.. لأنَّه يجدرُ بنا إذا حصلنا على الأجابةِ الوافيةِ لتساؤلاتنا تجاه شخصِ المسيحِ الالتزامِ بتبعيتهِ وتجنبِ أنْ نتوانى أو نترأخى في تلكِ التبعيةِ بل نَسارعُ إلى خدمتهِ بإخلاصِ والعملِ الجادِ من كلِّ القلبِ لمجده.. وإلا فنحنُ بعنادنا وأساليبنا الملتويةِ نضرُّ أنفسنا ونحرمُ ذواتنا منْ معرفةِ الحقِّ والاستدلالِ بقولِ الحقِّ في توصيلِ رسالةِ خلاصِهِ.. وإيَّيَّ إذ أقدمَ إجابةً على هذهِ الأسئلةِ هدفي هو إيضاحُ أنَّه في مقدورنا أنْ نضعَ كلَّ ثقتنا في شخصِ المسيحِ يسوعَ.. فهو على الدوامِ يعلنُ ذاته لكلِّ مَنْ يأتى إليه بأمانةٍ وصدقٍ وإخلاصٍ..

يذكرُ متى البشيرِ في إنجيلهِ الأصحاح الرابع عشر أنَّه حدث يوماً أنْ كان تلاميذُ المسيحِ في سفينةٍ وفي الهزيعِ الرابعِ منْ الليلِ مضى إليهم يسوعُ ماشياً على البحرِ فلما أبصروه ماشياً على البحرِ اضطربوا قائلين: "إنَّه خيالٌ ومنْ الخوفِ صرخوا" .. فللوقتِ كلمهم يسوعُ قائلاً: " تشجعوا.. أنا هو.. لا تخافوا". فأجابهُ بطرسُ وقال: "يا سيِّدَ إن كنتِ أنتِ هو فمرنى أنْ أتى إليك على الماءِ" .. فقال يسوعُ له: " تعال". فنزلَ بطرسُ منْ السفينةِ ومشى على الماءِ ليأتى إلى يسوعَ. ولكن لما رأى الرِّيحَ شديدةً خافَ.. وإذ ابتدأ يغرقُ صرخ قائلاً: "يا ربَّ نجِّني". ففى الحال مَدَّ يسوعُ يدهُ وأمسك به وقال له: "يا قليلَ الإيمانِ لماذا شككت؟!" .. ولما دخلا السفينةَ سكنتِ الرِّيحُ. والذين في السفينةَ جاءوا وسجدوا له قائلين: "بالحقيقة أنت ابن الله". إنَّ الربَّ يسوعُ له طريقته التي بها يتعاملُ معنا ويُعالجنا إذا انتابنا شكٌّ.. وحينذاك نسجدُ له مُعلنين إيماننا قائلين: "بالحقيقة أنت ابنُ الله".^٢

ويسجلُ يوحنا البشيرِ في إنجيلهِ الأصحاح العشرين أنَّ التلاميذَ بعد ظهورِ السيِّدِ المسيحِ لهم وكانوا مجتمعين قالوا لتوما وهو واحدٌ منْ الإثنى عشر الذي يُقال له التوام: "إنَّ يسوعَ المسيحَ قامَ منْ الأمواتِ وقد رأيناهُ بأنفسنا" .. إذ لمْ يكنْ مَعَهُم حين جاء يسوعُ إليهم أوَّلاً.. ولأن توما كان رجلاً شكاكًا كما أسلفنا القول فقال لهم "إنَّ لمْ أبصرْ في يديه أثرَ المَساميرِ وأضعُ إصبعي في أثرِ المَساميرِ وأضعُ يدي في جنبهِ لا أؤمن". وبعد ثمانية أيامٍ كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم.. فجاء يسوعُ والأبواب مغلقة.. ووقفَ في الوسطِ.. وقال: "سلامٌ لكم" .. ثمَّ قال لتوما: "هاتِ إصبعك إلى هنا وابصرْ يدي وهاتِ يدك وضَعْها في جنبِي ولا تكنْ غيرَ مؤمنٍ بل مؤمناً" .. أجاب توما وقال له: "رَبِّي وإلهي". قال له يسوعُ: "لأنك رأيتني يا توما أمنت.. طوبى للذين آمنوا ولمْ يروا".^٣

^١ استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٨

^٣ إنجيل متى ١٤: ٢٥ - ٣٣

^٤ إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٤ - ٢٩

قد يجولُ في فكر القارئ هذا الخاطر: يبدو أنّ "Cliffe Knechtle" متأكدٌ من نفسه تماماً وإلى أبعد الحدود.. وقد يتساءل متعجباً: "ألم تتنابه يوماً أيّ شكوك في المسيحية؟! .. أحيبُ بالقول: "إنّه أمرٌ طبيعيّ أنّ تتنابنى شكوك.. وبكلّ تأكيدٍ لدى تساؤلات.. فمثلاً كلّ مرة أرتكبُ فيها خطيئةً يتملكني إحساسٌ غريبٌ.. وهو أنّ إيماني مشكوكٌ فيه وتحدثني نفسي بالقول: لو كنت يا كلف مؤمناً ما ارتكبتُ خطيئةً!". لقد جاء برسالة يوحنا الرسول الأولى الأصحاح الأول قوله: "ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل انفسنا وليس الحق فينا.. ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم".^١

ليست المسألة.. هل تتنابنى شكوكٌ أم لا. إنّ الأمرَ الهامَّ والذي يجبُ أن نناقشهُ هو كيف أعالجُ شكوكي؟. لقد كتب مرقس البشير في إنجيله الأصحاح الثامن أنه ذات يوم جاءَ أبٌ مُسرِعاً إلى الرب يسوع. مُضطرباً مُزعجاً فلقد كسرَ الحزنَ قلبه وقال متألماً: "أيها الربُّ يسوع.. إنّ تلاميذك حاولوا شفاءَ ابني المريض جداً ولكّهم فشلوا.. فإذا كان ممكناً فإني أتوسلُ إليك أن تشفي ابني". فنظر الربُّ يسوع إلى وجه الأب وقال له: "ماذا تعني بقولك إذا كان ممكناً؟. كلّ شيءٍ مُستطاعٌ للمؤمن". وإذا بالرجل يندفعُ قائلاً: "أومن يا سيد فأعنْ عدمَ إيماني". وشفاه الرب يسوع ابنه.. لقد كان الأبُ أميناً لدرجةٍ أنه صرّح بشكوكِهِ للسيد المسيح. لم يقفْ عاجزاً مشلولَ الفكر بلُ جاءَ في تواضع وانكسار يعترفُ للمسيح بأن إيمانه كالعدم. طالباً من الربّ أن يُعيّنه. فلم يسمح لشكوكِهِ أن تذهبَ به بعيداً. بل على العكس كان حكيماً إذ وضعَ حداً لها باتيانته للربّ واعترافه له بها.^٢

نحنُ جميعاً لدينا شكوكٌ. فهل نحنُ أمناء لدرجةٍ أننا نتواضع ونصرّح أمام الربّ أن لدينا شكوك؟. هل نأتي إليه ولا نسمح لشكوكنا أن تذهبَ بنا بعيداً؟. تعودتُ عندما تتنابنى الشكوك أن أسارع وأخبر بها الرب في صلاتي. وقد وجدت أنه كلما واجهت شكوكي بأمانة. وجدت أنّ الربّ لا يتركني أتخطبُ فيها بل يأخذني خلال شكوكي تلك ليعطيني فهماً حقيقياً وإيماناً وثيقاً.. نعم. وسط شكوكنا يمكن وضع ثقفتنا بالكامل في المسيح يسوع. قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين بالأصحاح الحادي عشر بالعديدين الأول والسادس: "وأما الإيمانُ فهو الثقة بما يُرجى والإيقانُ بأُمور لا تَرى".^٣ "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءهُ".^٤

ليست الصلاة وصفةً طبيّةً بارعة لتوصف.. بل هي صرخة عميقة تصدرُ من قلب الكائن الحيّ للإله الحيّ. إنّه سوف يميلُ إلينا ويسمعُ صراخنا. سوف يُريحنا ويحيبُ تساؤلاتنا بطرق عجيبة فريدة. ولكننا لن نحصلُ على استجابةٍ لكلّ شيءٍ.. لن نجدَ أنفسنا يوماً بلا تساؤلاتٍ أو شكوكٍ أو خطيئة.

إنّ المسيحيين هم هؤلاء الذين ثبتوا عيونهم تماماً على المسيح يسوع.. وتعلقوا به بكل جوارحهم.. نحن كمسيحيين مدعوون لنقضي رحلة حياتنا في قربٍ كاملٍ من الإله الحيّ.. ولنحرصَ على أن يزدادَ قربنا إليه أكثر وتعلقنا به أقوى في وسط شكوكنا وتساؤلاتنا.. وهو بدوره لن يدعنا نتخبطُ في شكوكنا.. بل يرشدنا حافظاً إيانا في قبضته القوية.. قال الرب يسوع: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني".^٥

أخي العزيز.. أدعوك كي تشتركَ معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. ما أبعد أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء. أتى إليك إلهي معترفاً بحالتي وأتضرعُ إليك مع عبدك الذي قال: أومن يا سيد فأعنْ عدمَ إيماني.. حاجتي إلى روحك القدوس ليُعلمني ويرشدني فاغمرني بروحك ربّي.. أرفعُ صلاتي في اسم يسوع البار واتقا أنك تسمعُ وتستجيبُ لصلاتي يا مَنْ وعدتَ بقولك: مَنْ يُقبلُ إليّ لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إنّ أردتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجدُ ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

وإن أردتَ سماع تلك الرسالة بالإنجليزية من Cliffe Knichtle ستجدُ ذلك في:

<http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html>

^٢ رسالة يوحنا الأولى ١: ٨ - ٩

^٣ إنجيل مرقس ٩: ١٤ - ٢٥

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ١١: ١ & ٦

^٥ إنجيل يوحنا ١٠: ١١ & ٢٧